



فضل الإنسان بعلم الرحمن

تأليف: أ.د. / حنفي محمود مدبولي

فضل الإنسان بعلم الرحمن

أ.د. / حنفي محمود مدبولي

عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

لقد فضل الله عز وجل آدم على سائر الخلق من قبله بفضيلة العلم التي أودعها الله فيه ، وفضيلة العلم هذه هي التي جعلت آدم عليه السلام هو معمر هذا الكون ، ولولا هذه الفضيلة ما كان عمران ولا مدنية ولا ابتكار ولا اختراع ولا تطوير فبالعلم تحيا الأمم . ولقد بين الله عز وجل هذه الفضيلة منذ نفخ الروح في آدم عليه السلام ، وبين فضيلة العلم والعلماء فيما أوحى من كتاب وسنة إلى أنبيائه ورسله عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال تعالى في سورة البقرة: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأُعَلِّمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)

تفسير ابن كثير:

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم وهذا كان بعد سجودهم له ، وإنما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك ، فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ، ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها} قال السدي عن حدثه عن ابن عباس {وعلم آدم الأسماء كلها} قال: علمه أسماء ولده إنساناً إنساناً والدواب فقيل: هذا الحمار ، هذا الجمل ، هذا الفرس ، وقال الضحاك عن ابن عباس {وعلم آدم الأسماء كلها} قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودابة وسما وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ، وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس {وعلم آدم الأسماء كلها} قال علمه اسم الصخرة والقدر ، قال نعم حتى الفسوة والفسية ، وقال مجاهد {وعلم آدم الأسماء كلها} قال علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء ، كذلك روي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف أنه علمه أسماء كل شيء ، وقال الربيع في رواية عن أسماء الملائكة . وقال حميد الشامي أسماء النجوم . وقال عبد الرحمن بن زيد علمه أسماء ذريته كلهم ، واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة

وأسماء الذرية لأنه قال {ثم عرضهم} وهذا عبارة عما يعقل وهذا الذي رجح به ليس بلازم ، فإنه لا ينبغي أن يدخل معهم غيرهم ، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) سورة النور. وقد قرأ عبد الله بن مسعود ثم عرضهن ، وقرأ أبي بن كعب ثم عرضها أي المسميات . والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية يعني أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر ، ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية (1) بسنده عن أنس بن مالك حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وقال لي خليفة : حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لست هناكم ، ويذكر ذنبه فيستحي اتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتونه فيقول لست هناكم ، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي فيقول اتوا خليل الرحمن ، فيأتونه فيقول لست هناكم ، فيقول اتوا موسى عبداً كلمه الله وأعطاه التوراة فيقول لست هناكم. فيذكر قتل النفس بغير نفس فيستحي من ربه فيقول اتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه فيأتونه فيقول لست هناكم اتوا محمداً عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيأذن لي فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله ثم يقال ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة ثم أعود الرابعة فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود» ، ووجه إيراده ههنا ، والمقصود منه قوله صلى الله عليه وسلم "...فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء..." فدل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات ، ولهذا قال {ثم عرضهم على الملائكة} يعني المسميات كما قال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة ، قال ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة {فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين} وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة {وعلم آدم الأسماء كلها} ثم عرض الخلق على الملائكة ، وقال ابن جريج عن

(1) هكذا ساق الإمام البخاري هذا الحديث في كتابه التفسير وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام وهو ابن أبي عبد الله الدستوائي عن قتادة به وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث سعيد وهو ابن أبي عروة عن قتادة

مجاهد ثم عرض أصحاب الأسماء على الملائكة ، وقال ابن جرير : عن الحسن وقتادة قال(2): علمه اسم كل شيء ، وجعل يسمي كل شيء باسمه وعرضت عليه أمة أمة ، وبهذا الإسناد عن الحسن وقتادة في قوله تعالى : {إن كنتم صادقين} إني لم أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، وقال الضحاك عن ابن عباس {إن كنتم صادقين} إن كنتم تعلمون أي لم أجعل في الأرض خليفة ، وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، وقال ابن جرير وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ، ومعنى ذلك فقال أنبؤني بأسماء من عرضته عليكم أيها الملائكة القائلون أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. من غيرنا أم منا فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك. إن كنتم صادقين في قيلكم إني إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني وذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء وإن جعلتكم فيها أطعمتموني واتبعتم أمري بالتعظيم لي والتقديس ، فإذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد أخرى أن تكونوا غير عالمين {قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم} هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وأن يعلموا شيئاً إلا ما علمهم الله تعالى ولهذا قالوا {سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم} أي العليم بكل شيء الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك من تشاء ومنعك من تشاء لك الحكمة في ذلك والعدل التام. قوله تعالى: {قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون} قال زيد بن أسلم قال أنت جبرائيل أنت ميكائيل أنت إسرافيل حتى عدد الأسماء كلها حتى بلغ الغراب وقال مجاهد في قول الله {قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم} قال اسم الحمامة والغراب واسم كل شيء ، وروي عن سعيد بن جبير والحسن وقتادة نحو ذلك ، فلما ظهر آدم عليه السلام على الملائكة عليهم السلام في سرده ما علمه الله تعالى من أسماء الأشياء ، قال الله تعالى للملائكة {ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون} أي ألم أتقدم إليكم إني أعلم الغيب الظاهر والخفي كما قال تعالى {وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى} وكما قال إخباراً عن الهدد أنه قال لسليمان {ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون (25) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم(26) سورة النمل ، وقيل في قوله تعالى: {وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون} غير ما ذكرناه ، فروى الضحاك عن ابن عباس {وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون} قال يقول: أعلم السر كما أعلم العلانية يعني

(2) قال بن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني الحجاج عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة عن الحسن وأبي بكر

ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاعتزاز، وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قال قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية، فهذا الذي أبدوا {وما كتمتكمون} يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد و السدي والضحاك الثوري. واختار ذلك ابن جرير وقال أبو العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة هو قولهم لم يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس {وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون} فكان الذي أبدوا هو قولهم : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ، وكان الذي كتموا بينهم هو قولهم لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم ، فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم ، وقال ابن جرير: فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا له بالفضل . وقال ابن جرير وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عباس وهو أن معنى قوله تعالى : {وأعلم ما تبدون} وأعلم مع علمي غيب السموات والأرض وما تظهرونه بألستكم وما كنتم تخفون في أنفسكم ، فلا يخفى علي أي شيء سواء عندي سرائركم وعلايتكم والذي أظهروه بألستهم قولهم : (أتجعل فيها من يفسد فيها) ، والذي كانوا يكتمون ما كان عليه منطوباً إبليس من الخلاف على الله في أوامره والتكبر عن طاعته ، قال: وصح ذلك كما تقول العرب قتل الجيش وهزموا ، وإنما قتل الواحد أو البعض وهزم الواحد أو البعض ، فيخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم كما قال تعالى : {إن الذين ينادونك من وراء الحجرات} ذكر أن الذي نادى إنما كان واحداً من بني تميم ، قال وكذلك قوله {وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون}..

تفسير الجلالين⁽³⁾:

(وعلم آدم الأسماء) أي أسماء المسميات (كلها) بأن ألقى في قلبه علمها (ثم عرضهم) أي المسميات وفيه تغليب العقلاء (على الملائكة فقال) لهم تبكيئا (أنبنوني) أخبروني (بأسماء هؤلاء) المسميات (إن كنتم صادقين) في أنني لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة ، وجواب الشرط دل عليه ما قبله .(قالوا سبحانك) تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك (لا علم لنا إلا ما علمتنا) إياه (إنك أنت) تأكيد للكاف (العليم الحكيم) الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته (قال) تعالى (يا آدم أنبئهم) أي الملائكة (بأسمائهم) المسميات فسمى كل شيء باسمه

³ تفسير الجلالين ولباب النقول في أسباب النزول على هامش القرآن الكريم للمؤلف: جلال الدين المحلي - جلال الدين السيوطي

وذكر حكمته التي خلق لها (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) تعالى لهم موبخاً (ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض) ما غاب فيهما (وأعلم ما تبدون) ما تظهرون من قولكم أتجعل فيها الخ (وما كنتم تكتمون) تُسِرُّون من قولكم لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم

تفسير القرطبي:

قوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها" (عَلَّمَ) عرّف. وتعليمه هنا إلهام علمه ضرورة . ويحتمل أن يكون بواسطة ملك وهو جبريل عليه السلام ، على ما يأتي . وقرئ: "وعَلَّمَ" غير مسمى الفاعل. والأول أظهر، على ما يأتي. قال علماء الصوفية: علمها بتعليم الحق إياه وحفظها بحفظه عليه ونسي ما عهد إليه، لأن وكله فيه إلى نفسه فقال: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً". [طه: 115]. وقال ابن عطاء: لو لم يكشف لآدم علم تلك الأسماء لكان أعجز من الملائكة في الإخبار عنها . وهذا واضح. قال ابن خوير منداد: في هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفاً ، وأن الله تعالى علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلاً. وكذلك قال ابن عباس: علمه أسماء كل شيء حتى الجفنة والمحلب. وروى شيبان عن قتادة قال: علم آدم من الأسماء أسماء خلقه ما لم يعلم الملائكة، وسمي كل شيء باسمه وأنحى منفعة كل شيء إلى جنسه . قال النحاس: وهذا أحسن ما روي في هذا. والمعنى علمه أسماء الأجناس وعرفه منافعها، هذا كذا، وهو يصلح لكذا.

واختلف في أول من تكلم باللسان العربي ، فروي عن كعب الأحبار : أن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها بالألسنة كلها آدم عليه السلام . وقاله غير كعب الأحبار.

فإن قيل: قد روي عن كعب الأحبار من وجه حسن قال : أول من تكلم بالعربية جبريل عليه السلام وهو الذي ألقاه ا على لسان نوح عليه السلام وألقاها نوح على لسان ابنه سام ، ورواه ثور ابن زيد عن خالد بن معدان عن كعب . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن عشر سنين). وقد روي أيضا : أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان، وقد روي غير ذلك . قلنا: الصحيح أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام ، والقرآن يشهد له، قال الله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها" [البقرة: 31] واللغات كلها أسماء فهي داخلة تحته وبهذا جاءت السنة، قال صلى الله عليه وسلم : (وعلم آدم الأسماء كلها حتى القصعة والقصيعة) وما ذكره يحتمل أن يكون المراد به أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام . وكذلك إن صح ما سواه فإنه يكون محمولا على أن المذكور أول من تكلم من قبيلته بالعربية بدليل ما ذكرنا، والله أعلم . وكذلك

جبريل أول من تكلم بها من الملائكة وألقاها على لسان نوح بعد أن علمها الله آدم أو جبريل، على ما تقدم، والله أعلم.

قوله تعالى: "إن كنتم صادقين" شرط، والجواب محذوف تقديره: إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض فأنبئوني، قاله المبرد . ومعنى "صادقين" عالمين، ولذلك لم يسغ للملائكة الاجتهاد وقالوا: "سبحانك!" حكاية النقاش قال: ولو لم يشترط عليهم إلا الصدق في الإنباء لجاز لهم الاجتهاد كما جاز للذي أماته الله مائة عام حين قال له: "كم لبثت" فلم يشترط عليه الإصابة، فقال ولم يصب ولم يعنف، وهذا بين لا خفاء فيه . } قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قوله تعالى: "سبحانك" أي تنزيها لك عن أن يعلم الغيب أحد سواك . وهذا جوابهم عن قوله: "أنبئوني" فأجابوا أنهم لا يعلمون إلا ما أعلمهم به ولم يتعاطوا ما لا علم لهم به كما يفعله الجهال منا . و"ما" في "ما علمتنا" بمعنى الذي، أي إلا الذي علمتنا، ويجوز أن تكون مصدرية بمعنى إلا تعليمك إيانا.

فائدة

الواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم : الله أعلم ولا أدري، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء، لكن قد أخبر الصادق أن بموت العلماء يقبض العلم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون . وأما ما ورد من الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين بعدهم في معنى الآية فروى البستي في المسند الصحيح له عن ابن عمر أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي البقاع شر؟ قال: (لا أدري حتى أسأل جبريل) فسأل جبريل، فقال: لا أدري حتى أسأل ميكائيل، فجاء فقال: خير البقاع المساجد، وشرها الأسواق . وقال الصديق للجدة: ارجعي حتى أسأل الناس . وكان علي يقول : وأبردها على الكبد ، ثلاث مرات . قالوا وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال : أن يسأل الرجل عما لا يعلم فيقول : الله أعلم . وسأل ابن عمر رجل عن مسألة فقال : لا علم لي بها ، فلما أدبر الرجل . قال ابن عمر: نعم ما قال ابن عمر، سئل عما لا يعلم فقال لا علم لي به ! ذكره الدارمي في مسنده . وفي صحيح مسلم عن أبي عقيل يحيى بن ال متوكل صاحب بهية قال : كنت جالسا عند القاسم بن عبيد الله ويحيى بن سعيد، فقال يحيى للقاسم : يا أبا محمد إنه قبيح على مثلك عظيم أن يسأل عن شيء من أمر هذا الدين فلا يوجد عندك منه علم ولا فرج ، أو علم ولا مخرج؟ فقال له القاسم : وعم ذاك؟ قال : لأنك ابن إمامي هدى : ابن أبي بكر وعمر . قال يقول له القاسم : أقبح من ذاك عند من عقل عن الله أن أقول بغير علم أو آخذ عن غير ثقة . فسكت فما أجابه . وقال مالك بن أنس : سمعت ابن هرمز يقول : ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده لا أدري حتى يكون أصلا في أيديهم ، فإذا

سئل أحدهم عما لا يدري قال: لا أدري. وذكر الهيثم بن جميل قال: شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري.

قلت: ومثله كثير عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين. وإنما يحمل على ترك ذلك الرياسة وعدم الإنصاف في العلم. قال ابن عبد البر: من بركة العلم وآدابه الإنصاف فيه، ومن لم ينصف لم يفهم ولم يتفهم. روى يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت ابن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف.

قلت: هذا في زمن مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عم فينا الفساد وكثر فيه الطغام! وطلب فيه العلم للرياسة لا للدراية، بل للظهور في الدنيا وغلبة الأقران بالمراء والجدال الذي يقسي القلب ويورث الضغن، وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى. أين هذا مما روي عن عمر رضي الله عنه وقد قال: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذي العصبة - يعني يزيد بن الحصين الحارثي - فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال، فقامت امرأة من صوب النساء طويلة فيها فطس فقالت: ما ذلك لك! قال: ولم؟ قالت لأن الله عز وجل يقول: "وَأْتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا" [النساء: 20] فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ! وروى وكيع عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال: سألت رجل عليا رضي الله عنه عن مسألة فقال فيها، فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال علي: أصبت وأخطأت، وفوق كل ذي علم عليم. وذكر أبو محمد قاسم بن أصبغ قال: لما رحلت إلى المشرق نزلت القيروان فأخذت على بكر بن حماد حديث مسدد، ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس، فلما انصرفت عدت إليه لتمام حديث مسدد، فقرأت عليه فيه يوما حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه قدم عليه قوم من مضر من مجتأبي النمار) فقال: إنما هو مجتأبي الثمار، فقلت إنما هو مجتأبي النمار، هكذا قرأته على كل من قرأته عليه بالأندلس والعراق، فقال لي: بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا! أو نحو هذا. ثم قال لي: قم بنا إلى ذلك الشيخ - لشيخ كان في المسجد - فإن له بمثل هذا علما، فقمنا إليه فسألناه عن ذلك فقال: إنما هو مجتأبي النمار، كما قلت. وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة، جيوبهم أمامهم. والنمار جمع نمره. فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه: رغم أنفي للحق، رغم أنفي للحق. وانصرف.

{ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون }

قوله تعالى : "أنبئهم بأسمائهم" أمره الله أن يعلمهم بأسمائهم بعد أن عرضهم على الملائكة ليعلموا أنه أعلم بما سألهم عنه تنبيها على فضله وعلو شأنه ، فكان أفضل منهم بأن قدمه عليهم وأسجدهم له وجعلهم تلامذته وأمرهم بأن يتعلموا منه . فحصلت له رتبة الجلال والعظمة بأن جعله مسجودا له، مختصا بالعلم . وفي هذه الآية دليل على فضل العلم وأهله ، وفي الحديث : (وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم) أي تخضع وتتواضع وإنما تفعل ذلك لأهل العلم خاصة من بين سائر عيال الله ، لأن الله تعالى ألزمها ذلك في آدم عليه السلام فتأديت بذلك الأدب . فكلما ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذلت إعظاما للعلم وأهله، ورضا منهم بالطلب له والشغل به . هذا في الطلاب منهم فكيف بالأخبار فيهم والربانيين منهم جعلنا الله منهم وفيهم ، إنه ذو فضل عظيم .

تفسير الشنقيطي :

{ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ} يعني مسميات الأسماء لا الأسماء كما يتوهم من ظاهر الآية . وقد أشار إلى أنها المسميات بقوله : {أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ} الآية ، كما هو ظاهر . {وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} لم يبين هنا هذا الذي كانوا يكتُمون ، وقد قال بعض العلماء : هو ما كان يضمرة إبليس من الكبر ، وعلى هذا القول فقد بينه قوله تعالى : {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ} .

العبر والعظات من تفضيل آدم بالعلم

- 1 - أن الله عز وجل بين لملائكته الكرام بالدليل العملي أهمية خلق آدم عليه السلام والأسباب الرئيسة لخلافته في الأرض
- 2 - إن الله سبحانه وتعالى فضل آدم عليه السلام على بقية خلقه بأنه شرفه بخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه
- 3 - أن هذا الشرف لآدم عليه السلام أمام الملائكة لا بد من الدليل العملي عليه وهو التمحيص بالعلم حتى يكون المقام لآدم عليه السلام مقام تشریف واعزاز وقد حدث .
- 4 - أن العلم بالأسماء يقتضى العلم بخصائص وصفات المسميات حتى يستطيع آدم عليه السلام استنباط الأسماء، وهذا ما أودعه الله في آدم وذريته من بعده . ألا ترى استنباط أسماء لأشياء لم تكن معروفة من قبل مثل السيارة والطائرة والحاسوب ، والميكروسكوب بأنواعه وغير ذلك من مسميات فى عصرنا هذا ، وسياتى إن شاء الله عصور من بعدنا لها مسميات لم تكن فى عصرنا وأسماء لم نعرفها وهكذا حتى تقوم الساعة وذرية آدم عليه السلام تستنبط الأسماء من

صفات وخصائص مسمياتها وهذا كله بفضل هذا الشرف الرفيع الذى شرف به آدم عن بقية الخلق

5- أن علم آدم بالأسماء كلها لقوله عز وجل "وعلم آدم الأسماء كلها" دليل على عدم وجود مسمى بلا اسم حتى تقوم الساعة

6- عرض الأسماء على الملائكة دليل على عدم معرفة الملائكة باستنباط الأسماء من مسمياتها لأن هذه خصيصة اختص الله سبحانه وتعالى بها آدم عليه السلام ودليله قولهم "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا"

7- قول الملائكة "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا " دليل على أن علم الملائكة محدود فى هذا الجانب وهذا يبين أن الله تعالى يعطى من فيوضات علمه من يشاء من عباده ويمنعه عن من يشاء

8- قول الملائكة "إنك أنت العليم الحكيم" هو معرفة الملائكة بصفات الذات الإلهية وأنه سبحانه وتعالى يخلق عن علم وبحكمة ولحكمة ، علمها من علمها وجهلها من جهلها. فهو سبحانه وتعالى يعلم حكمة خلقه لهذا الخليفة ، ويعلم حكمة خلقه للأنعام وبهيمة الأنعام والزواحف والطيور وكل مخلوق فى الأرض أو فى السماء خلقه لحكمة وخلقته بعلم

9- التجربة خير دليل والاختبار العملى أكد فى بيان الحق الذى لا مرية فيه وهذا جلى واضح فى هذا الموقف فى قوله تعالى"يا آدم أبنهم باسمائهم"

10- مع علم الملائكة أن الله هو العليم الحكيم إلا أن الله عز وجل ذكرهم بهذا الأمر وبما هو أخص من ذلك فلا بد من التذكرة فإن فيها منفعة وهذا من قوله عز وجل "ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون " فبإضافة علمه لغيب السموات والأرض إلى علمه بمكنون سرائهم وعلانيتها تحذير لهم من مغبة عصيانه ولذلك عندما أمرهم بالسجود لآدم لبوا الأمر وسجدوا

11- أن للملائكة حياء من الله فهى أسرت أمرا فى نفسها ما طلبته من الله عز وجل حياء منه ، وهذا واضح بالتلميح فى قولها"ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " وهذا يعنى أنها أحق بالخلافة من آدم ، وذلك بعد التصريح بقولها"أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" قياسا على أفعال الجن لما يعلمونه من أخبارهم فى الإفساد فى الأرض وسفك الدماء. وقد بين الله عز وجل لهم ما صرحوا به وما لمحوا به فقال سبحانه وتعالى لهم "وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون " ويستفاد من هذا ان نتعلم الأدب مع الله عز وجل. وكذلك تتأدب فى الحديث مع من هم أعلم به منا

12 - وكذلك نتعلم أن التلميح فى بعض الأحيان يكون حفظا لماء الوجه ولذلك قال الله تعالى فى مسألة التعريض بخطبة النكاح "وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتُمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَ هُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235)سورة البقرة.

13 - أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام هو فى الحقيقة سجود للعليم الحكيم الذى نفخ الروح فيه ، ولتعلم آدم عليه السلام هذا العلم وهو تشريف لمقام العلم والعلماء وتشريف لآدم عليه السلام. ويستفاد هذا من حديث النبى صلى الله عليه وسلم " إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع " وأن مجالس العلم هى مجالس الملائكة

14 - أن الصادق هو الذى يتكلم بالعلم وأن الكاذب هو الذى لا يتكلم بعلم وهذا من قوله "أبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين " ولذلك لم تعقب الملائكة إلا بقولها "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم" ويستفاد من هذا عدم الفتيا أو التكلم بغير علم وهذا مشهود عن النبى صلى الله عليه وسلم لقول ربه عز وجل عنه " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " ومشهود من كبار الصحابة وتابعيهم والعلماء الربانيين الذين لا يتطلعون لدنيا ولا يتشرفون لرئاسة أو غيرها

15 - أن رفض ابليس السجود لآدم عليه السلام كما أمره الله هو دليل حقه وكرهه وبغضه وعداوته له ولذلك حذر الله عز وجل آدم وحواء من عداوة هذا الملعون فى كل زمان ومكان فى قوله تعالى " إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى " كما حذر ذرية آدم من بعده بقوله عز وجل " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62) سورة يس

16 - أن اخبار الله تعالى للملائكة بفضيلة آدم على خلقه لهم وللجن هو اخبار بيان من العليم لمن دونه لأقامة الحجة عليهم ولتعليمنا أن تبلغ العلم حتى وإن كان للعلماء فضلا عن غيرهم لابد فيه من التلطف فى القول مع المخاطب لتهيئة نفسه لقبول العلم وعدم رفضه